

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- "يرحم الله موسى قد أُوذى بأكثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" ٢

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فكنا نتحدث عن حديث ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- في يوم حنين، وذلك عندما آثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عبيدة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، يقول ابن مسعود فقلت: والله لأخبرن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف.

تحدثنا إلى هذا الموضع من الحديث، وقلنا: الصرف هو الأحمر الخالص شديد الحمرة، و فعل ابن مسعود -رضي الله عنه- ابتداء حينما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس من باب النميمة، ونقل الكلام، وقالةسوء بين الناس التي يحصل بسببها الإفساد فيما بينهم، وقطع العلائق والوشائج، وإنما هذا لون آخر، وهو من قبيل إنكار المنكر، فهذا رجل من المنافقين يتكلم، ويطعن في حكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي قسمه، فابن مسعود -رضي الله عنه- رفع ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعلوم أن من تكلم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو شتمه فإنه في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- يكون العفو مرتبطة برسول الله -عليه الصلاة والسلام-، بمعنى أنه ليس لأحد أن يسقطه سوى رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وقد اجترأ هذا على ذنب عظيم، وأما بعد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فلا سبيل إلى إسقاطه، ولهذا قال العلماء -رحمهم الله-: إن من سب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنه يقتل، لأن ذلك من حق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال كثير منهم: وإن تاب فإن توبته تتفعه عند الله -جل جلاله.

يقول: ثم قال: ((فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟)) وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما قصد تألف هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، ووراء هؤلاء من العشائر والقبائل الشيء الكثير، فإذا رغبوا في الإسلام دخل أقوامهم معهم، فيكون ذلك نصراً للإسلام، وإعزازاً لدين الله -تبارك وتعالى-، وقد جاء في صحيح البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إني لأعطي الرجل وإن غيره لأحب إلى منه، مخافة أن يكبه الله في النار))^(١)، فمن الناس من تكون هذه العطية التي يعطها من الدنيا سبباً لتثبتته على الحق والإسلام، فيعطي، والنبي -صلى الله عليه وسلم- وكل رجالاً إلى ما عرف من وثوق إيمانهم وصلابتهم وثباتهم، فمثل هؤلاء لا يحتاجون إلى مثل هذه العطية،

^١ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل (١٨/١)، رقم: (٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع (١٣٢/١)، رقم: (٥٠).

ولذلك فإن معاملة الناس وإعطاءهم، وما إلى ذلك من إلابة القول لهم يختلف، فمن الناس من لا تحتاج أن تراعيه في كثير من الأمور، فهو لا يحتاج أن يتألف لكمال يقينه وثباته، ومن الناس من تذهب به كلمة، وتتأتي به كلمة، فربما احتاج إلى مزيد من الرعاية والعناء والتلطف وما أشبه ذلك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- وكل مثل الأنصار -رضي الله عنهم- والسابقين الأولين من المهاجرين إلى إيمانهم، ولهذا لما بلغه بعض الشيء جمع الأنصار، وقال: ((يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي، وكنت متقرقين فألفكم الله بي، وكنت عالة فأغناكم الله بي؟))، كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال: ((ما يمنعكم أن تجibيو رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟))، كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال: ((لو شئتم قلت: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشأة والبعير وتذهبون بالنبي -صلى الله عليه وسلم- إلى رحالكم؟، لو لا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس يثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض))^(٢).

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((يرحم الله موسى قد أُوذى بأكثر من هذا فصبر)) موسى -صلى الله عليه وسلم- أُوذى بأكثر من هذا، فهذا الرجل قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله، وموسى -صلى الله عليه وسلم- أُوذى بأكثر من هذا، قال له بنو إسرائيل: **{ليا موسى إِنَّا لَن نَذْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** [المائدة: ٢٤] فخذلوه في أحوج الأوقات التي كان يحتاج إلى نصرتهم، في أشد الأوقات حاجة إلى نصرتهم، وكذلك أيضاً قالوا عنه: إنه آدر، لأنهم كانوا يغسلون عراة مجتمعين، وكان موسى -صلى الله عليه وسلم- حبيباً، فكان يغسل منفرداً، فقالوا: ما منعه أن يغسل معنا إلا أنه آدر^(٣)، والحديث في الصحيح، فبرأه الله -عز وجل- مما قالوا، بل اتهموه أيضاً أنه قتل هارون -عليه الصلاة والسلام-، والله يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنَدَ اللَّهِ وَجِيهًا}** [الأحزاب: ٦٩]، يعني: لا تؤذوا رسولكم -صلى الله عليه وسلم- كما آدى بنو إسرائيل موسى -عليه الصلاة والسلام-، فالآدية لم يسلم منها أحد.

ليس يخلو المرء من ضدٍ ولو ** * حاول العزلة في رأسِ جبلٍ

فكل إنسان يصل إليه من ألوان الأذى، سواء كان ذلك بكسب يده، أو كان لا كسب له بذلك أصلاً، فيسلط عليه من يؤذيه، ولو كان ذلك أقرب قريب من يرجو منه الإفضل والإحسان، فيتحول ذلك إلى إساءة وإشغال قلب عن ذكر الله وعبادته.

^٢ - أخرجه البخاري، كتاب المعازي، باب غزوة الطائف (٤/١٥٧٤)، رقم: (٤٠٧٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه (٢/٢٣٨)، رقم: (١٠٦١).

^٣ - أخرجه البخاري، كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن نسق فالتسنر أفضل (١/١٥٧)، رقم: (٤/١٨٤٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى -صلى الله عليه وسلم- (٤/٣٣٩).

ولم يسلم ربنا -جل جلاله- من الأذية، الله يقول: ((بِئْذِنِي ابْنَ آدَمَ، يَسِّبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ))^(٤)، ونسبوا له الصاحبة -الزوجة- والولد، وقالت عنه اليهود -قبحهم الله-: {بِيَدِ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]، قالوا: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران: ١٨١]، فإذا كان ربنا -جل جلاله- لم يسلم من الأذى، فمن الذي يسلم من الأذى
مهما كثرت سجاياه؟

فينبغي للإنسان أن يوطن نفسه على الصبر، واحتمال الأذى، ويعلم أن هذا الأذى لابد واصله، ولكن يؤجر على ذلك إذا صبر واحتسب.

فقال ابن مسعود: لا جرم يعني: حقاً - لا أرفع إليه بعدها حديثاً، أي: لا أنقل له موقفاً سيئاً، أو مقالة سيئة قيلت، لما رأى ما حل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- من التغير والضيق بسبب هذه المقالة السيئة.
هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

^٤ - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يَرِيدُونَ أَنْ يَبْدُلُوا كَلَامَ اللَّهِ} (٢٧٢٢/٦)، رقم: (٧٠٥٣)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٤/١٧٦٢)، رقم: (٢٢٤٦).